

الحذف في سورة القصص عند محمد صافي المستغامي، من خلال برنامج في رحاب سورة

Omission in Surah Al-Qasas according to Muhammad Safi Mustaghamni, as discussed in the program "Exploring the Surah"

سفيان رضوان صالح¹

sofiane.redouanesalah@umc.edu.dz

تاريخ النشر: 2025/12/15
Received: 26/09/2025

تاريخ الاستلام: 2025/09/26
published: 15/12/2025

ملخص المقال :

يتناول البحث مواطن الحذف التي ذكرها المستغامي في سورة القصص، وقد جاء المبحث الأول نظرياً، يشمل تعريفاً للحذف وأنواعه ومكانته بين المتقدمين والمتأخرين، والتي منها جاء المبحث الثاني في ثلاثة مطالب، فبدأنا بحذف الحرف وأبرزنا مواطنه، مع ذكر دلالاته، وقد جاء في موضع واحد فحسب، وهو حرف المعنى، ثم تطرقنا إلى حذف الكلمة، حيث جاء في أربعة مواطن، مُقسم بين المسند إليه والفضلة، وختمنا المبحث الثاني بذكر مواطن الحذف فيما يخص الجمل، حيث ذكر في أربع مواضع، مُقسم بين الجملة الفعلية والاسمية وشبه الجملة، وعززنا أقوال المستغامي -بعد كل حذف- بأقوال المفسرين، وقد بلغ مجموع مواطن الحذف في السورة تسعة مواضع، وتدور إشكالية البحث في: كيف عالج المستغامي ظاهرة الحذف في السورة؟ وكان الهدف من البحث: استخراج مواضع الحذف في السورة، مع بيان منهج الأستاذ في تقدير المحذوفات وإبراز دلالاتها، معتمداً على المنهج الوصفي الاستقرائي، مع بعض الإحصائي.

كلمات مفتاحية: المستغامي، الحذف، الزمخشري، الغرض البلاغي.

Abstract:

This research addresses the instances of omission mentioned by Al-Mustaghamni in Surah Al-Qasas. After defining the concept of omission and explaining its significance for both early and later scholars, and discussing its various types, the second section, comprising three subsections, begins with the omission of letters, highlighting its occurrences and their meanings. This type of omission occurs only once. Next, we examine the omission of words, which appears in four instances, though the meaning of the omission is not always explicitly stated. We conclude the second section by discussing instances of disagreement regarding the omission of phrases, which occur in four places. We then support Al-Mustaghamni's interpretations with those of other commentators. The total number of instances of omission discussed is nine. The aim of this research is to examine the methodology employed by Al-Mustaghamni in interpreting the verses, identifying the omitted elements, and elucidating their meanings, using a descriptive and inductive approach.

Keywords: al-Mustaghamni; Exegesis books; Deletion; meaning.

مقدمة:

غاص علماء الجزائر في القديم والحديث بدراسة علوم الشريعة؛ فاجتهدوا فيها تحقيقا وتوثيقا، ونال التفسير -كغيره من علوم الشريعة- نصيبا من الاهتمام، إلا أنّ الناظر فيما قاله المؤرخون والمحققون من أنّ بحوثهم -أي الجزائريين- تفتقد إلى قلة العناية بالجوانب البلاغية، وإنّ المتتبع لهذا الشأن ليجد أنّ هذا الصنيع هو دأب المفسرين المغاربة والأندلسيين عموما، الذين عُهد عليهم عدم توسعهم في تفاسيرهم بالبلاغة والإعجاز، ولعل السبب في ذلك، يرجع إلى أنّ علم البلاغة نشأ في المشرق، وبرع المشارقة فيه شرحا وتأليفا، كما عبّر عنه ابن خلدون في مقدمته، حيث يقول: "وبالجملة فالمشاركة على هذا الفن (أي علم البيان) أقوم من المغاربة، وسببه، والله أعلم، أنّه كمالي في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية توجد في وفور العمران، والمشرق أوفر عمراننا من المغرب كما ذكرناه، أو نقول لعناية العجم، وهم معظم أهل المشرق، كتفسير الزمخشري، وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله" ومع كل هذا التأخر فقد تدارك المغاربة عموما هذا النقص، فوجدنا من يتوسع في ذكر المباحث البلاغية ويذكر دلالاتها وأسرارها ومواطن الجمال فيها، ك: ابن عاشور والأمين الشنقيطي وغيرهما، وهذا ما نلمسه كذلك عند الجزائريين، كما في جهود محمد صافي المستغامي الجزائري، الذي وُلد في سنة 1965م في مدينة مستغانم، ودرس في كلية الأدب بجامعة وهران، ثم انتقل إلى سوريا، وبعدها إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو حاليا قائم على مشروع المعجم التاريخي للغة العربية بإمارة الشارقة، ومعروف عنه توسعه الكبير بالأساليب البلاغية من خلال كتبه التي ألفها، أو من خلال البرامج التي يُقدمها.

وسأقف في هذا البحث على مواضع الحذف ودلالاتها التي ذكرها المستغامي في سورة القصص، من خلال برنامج في رحاب سورة، الذي يُبث على قناة الشارقة الفضائية، إذ البحث في مجمله يهدف إلى إبراز عناية الجزائريين بالمظاهر البلاغية، وكذا الوقوف على جماليات الحذف القرآني، من خلال تقدير المحذوف والغرض من حذفه، وأما إشكالية البحث فتعالج منهج المستغامي في تقرير ظاهرة الحذف في السورة؟

والبحث قائم على استخراج مواضع الحذف التي أشار إليها الأستاذ، مع ذكر الغرض البلاغي من الحذف -إن وُجد- وقد نقلت كلام المستغامي حرفيا، ماعدا إذا كان فيه حوار مع مُقدم البرنامج، فأشير إليه بثلاث نقاط، ثم أقوم بعد ذلك بشرح كلام الأستاذ متبوعا بتعليق مختصر من كلامي، خاتما كلامي بذكر كلام أئمة هذا الشأن في هذا الموضوع، وكان المعتمد في هذا البحث على المنهجين الوصفي التحليلي في الأساس، مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي في الخاتمة.

وقد بدأنا البحث بمقدمة موجزة، ذكرت فيها حال المغاربة مع التفسير البلاغي، مع إبراز لإشكالية البحث، وأهدافه، ومنهج الدراسة، ومبحث نظري: ذكرت فيه تعريف الحذف وأنواعه ومكانته عند المتقدمين والمتأخرين؛ رجاء أن يكون هذا المبحث عوناً للقارئ في فهم الجانب التطبيقي، ومبحث تطبيقي: جاء في ثلاثة مطالب: الأول: في الحذف الذي يعتري الحرف، الثاني: الحذف الذي يعتري الكلمة، الثالث: فكان في حذف الجمل، وحُتمت الورقة البحثية بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث، مع بعض التوصيات، مرفقا كل ذلك بقائمة المراجع التي استقيت منها مادتي العلمية.

تعريف الحذف وذكر أنواعه ومكانته بين المتقدمين والمحدثين

1.2 تعريف الحذف لغة واصطلاحاً:

جاء في معجم العين: (الفراهيدي، د ت، صفحة 201/3) "الحذف: قطف الشيء من الطرف، كما يحذف طرف ذنب الشاة" وقد يكون هذا القطف إمّا كلياً أو جزئاً، وأمّا الحذف اصطلاحاً فهناك عدة تعريفات، أحسنها تعريف الزركشي (الزركشي، 1957م، صفحة 102/3) حيث يقول: "إسقاط جزء الكلام أو كله للدليل" وعزّفه المحدثون (بن عيسى، 2008، صفحة 121) بقولهم: "إسقاط جزء من الكلام للدليل، والمحذوف يفهم بالقرينة اللفظية أو العقلية أو من السياق".
وعليه نقول: إنّ الحذف من مظاهر التركيب العربي، الذي يؤدي إلى إيجازه والتخفيف من ثقله؛ ومن ثمّ التخفيف من عياء الحديث، وفي الإيجاز تكمن البلاغة، ويسموا الكلام حتى يصل إلى قوة السحر في التأثير.

2.2 الحذف بين المتقدمين وبين المحدثين:

الحذف ظاهرة من أهم الظواهر اللغوية التي تشترك فيها اللغات الإنسانية، وتتجلى هذه الظاهرة في بعض اللغات أكثر من غيرها، كـ اللغة العربية؛ وهذا لما تتميز به من الميل إلى الإيجاز والحذف (حمودة، 2000، صفحة 19) ويتفق النحويون والبلاغيون على أنّ الأصل في كلام العرب الذكر، ولا يصح حذف شيء منه إلّا بدليل، إذ لو دار الأمر بين الحذف وعدمه، كان حمل الكلام على عدم الحذف أولى؛ لأنّ الأصل عدم التغيير.

وفي كتاب سيبويه إشارة إلى وقوع الحذف في اللغة (سيبويه، 1988، الصفحات 24/1-25) حيث يقول: "اعلم أنّهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتّى يصير ساقطاً" وهو ما يُعرف بالأصل والفرع، على أنّ الأصل في كلام العرب عدم الحذف كما أشرنا سابقاً، إذ يُعَدُّ -سيبويه- عارضاً في الكلام، كما أنّ الحذف في الكلام يُحقق غايات قد لا يُحققها الذكر، من حسن القول وجماله وألفة النفس له، كما ذكر ذلك الجرجاني (الجرجاني، 1992، صفحة 152/1) حيث يقول: "فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلّا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به" وعليه قال بعضهم (اليعقوبي، 2011، صفحة 102) "فالإيجاز -أي الحذف- إذن عنصر أصيل في لغة العرب... على اختلاف أنواعه وضروبه، بل إنّ تعبير رفيع يخاطب به أهل العقول وأصحاب الحِجاء، والحذف ضرب من الإيجاز، بل عدّه ابن جني في خصائصه ضمن باب أسماء: (باب في شجاعة العربية) إشارة إلى ما في العربية من صفات ذاتية ومقدرة على استيعاب كل ما من شأنه مد جسور التواصل مع المتلقي، وهذا ما يُمثله الحذف".

ولا يختلف الحذف عند المحدثين مما هو عند المتقدمين، إذ هو: "انحراف عن المستوى التعبيري العادي، وأنّه يستمد أهميته من حيث لا يورد المنتظر من الألفاظ، ومن ثمّ يُفجّر في ذهن المتلقي شحنة توقظه وتجعله يُفكّر فيها؛ بحيث يتحدد بأنّه علاقة تتم داخل النص، كما أنّ معظم الأمثلة تُبين أنّ العنصر المحذوف موجود في النص السابق؛ بما أنّه يُنشأ علاقة قبلية (بوقرة، 2010، صفحة 106).
فالحذف إذن عند المحدثين: ظاهرة تتحول الجملة، من جملة أصلية إلى تحويلية، إذ الأصل أنّ الكلام لا يُحذف شيء منه إلّا بدليل، علمه من علمه، وجهله من جهله.

3.2 أنواع الحذف:

إذا نظرنا في لغة العرب نظرة عقلية، أمكن القول إنّ الحذف يقع في كل قسم من أقسامها، سواء أكان اسماً أو فعلاً أو حرف، وعلى هذا يقول فاضل السامرائي (السامرائي، 2000، صفحة 95): "إنّ الحذف في العربية كثير، وقد توسّعت فيه توسعاً كبيراً، وجرى فيها في كل نوع من أنواع الكلم التالية: اسم، فعل، حرف" وبالتبع والاستقراء في كتب التفسير وبلاغة - كما سيأتي - نجدهم أشاروا إلى الحذف في الجملة بمختلف أنواعها.

1- أولاً: يقول ابن جني (ابن جني، د ت، صفحة 281/2): "حذف الحروف لا يسوغه القياس؛ لما فيه من الانتهاك والإجحاف" فعلى هذا القول لا يجوز حذف الحروف؛ لما فيه تقصير وإجحاف؛ والعلة في ذلك أنّها في الأساس مختصرة، ولكنّه مع ذلك في موضع آخر يرى بجواز حذفها!، حيث يقول: "ومع ذلك فقد حذفت تارة وزيدت أخرى" ويمكن الجمع بين القولين، فنقول: إنّ الواقع اللغوي والطبيعة البشرية هي التي فرضت الحذف، ومع ذلك فحذف الحرف واقع في العربية، وأكبر دليل على ذلك وقوعه وبكثرة. وحذف الحرف نوعان:

أ- حذف حرف المبني: كقوله تعالى: "فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا" (الكهف: 97) فقد حذف حرف التاء من (استطاعوا) للتخفيف كما ذهب إلى ذلك الزمخشري (الزمخشري، 1987، صفحة 748/2).

ب- حذف حرف المعنى: كحذف حرف الجر قبل (أن) و(أنّ) المصدريتين، مثل قوله تعالى: "يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا" (الحجرات: 17) التقدير: بأن أسلموا.

2- ثانياً: حذف الكلمة: يأتي على ضرب مختلف:

أ- المسند إليه: وهو أحد ركني الجملة، وهو المبتدأ واسم كان واسم إنّ، والفاعل ونائبه، ولا يجوز حذفه إلّا بشرطين، هما:

ب- المسند: وهو أحد ركني الجملة، فهو إمّا الخبر أو خبر كان، أو خبر إنّ، أو الفعل.

ج- الفضلات: وهي ما سوى المسند والسند إليه، مثل: المفاعيل بأنواعها، والظروف بنوعها، والحال، والتمييز... إلخ.

3- ثالثاً: حذف الجمل: تنّظم الكلمات - المسند إليه والمسند والفضلات - مجّماً لتؤدي معنى، وتنسبك جميعها في نظام معيّن لتعطي دلالة، وقد يطرأ تغيير على نظام الجمل فيُحذف شيء؛ لتؤدي الجملة إفادة جديدة، ما كانت لتكون لولا هذا الحذف، وتأمل سياق الآيات يُدرك سرّ الحذف ومزيته، وحذف الجملة له صور مختلفة، وهذه الصور تكمن في حذف الشرط وجوابه، أو حذف القسم وجوابه، أو حذف الاستفهام وجوابه، وغيرها.

دراسة تحليلية لمواضع الحذف في سورة القصص

يقول الجرجاني (الجرجاني، 1992، صفحة 152/1): "فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلّا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به". فما من حذف وقع في القرآن إنّما جاء في الحال التي ينبغي أن يُحذف فيها مطابقاً لما تقتضيه البلاغة في أعلى درجاتها، يقول مصطفى عبد السلام (عبد السلام، د ت، صفحة 4): "وإذا كنا نجد في بعض مواضع الحذف المحذوف المذكور في آية مماثلة، فالحق أنّ المماثلة ليست من كل وجه، وبشيء من التدبر نجد اختلافاً بين الآيتين؛ مما يبرر الحذف هنا وهناك".

وفي هذه المبحث سأقف على مواضع الحذف التي أشار إليها المستغامي في سورة القصص، من خلال برنامج: "في رحاب سورة" محاولا استخراجها، ذاكر الغرض البلاغي من الحذف، مستشهدا بأقوال أئمة هذا الشأن فيما ذهب إليه الأستاذ، وقد اجتهدت قدر الإمكان في وضع بعض الدلالات التي لم يذكرها الأستاذ، سواء من خلال نظرة عامة في كلام الأستاذ، أو بالاطلاع على كتب التفسير وغيرها.

1.3 حذف الحرف:

سأقف في هذا المطلب على استخراج مواطن حذف الحرف التي ذكرها الأستاذ، على ما جاء على لسانه في برنامج في رحاب سورة القصص.

1- ذكر المستغامي في تفسير قوله تعالى: "وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (القصص: 87) حذفاً في الحرف حيث يقول (المستغامي، 2017، صفحة ج 11/ دقيقة 28): "...ولا يَصُدُّنَّكَ" وهي مضمومة -أي الدال- فلو قلت: لا يَصُدُّنَّكَ -بالفتح في الدال- فهنا أنت تتكلم على واحد، مثل: فلان لا يَصُدُّنَّكَ هو -أي مفرد- بينما لا يَصُدُّنَّكَ بالضم، فهنا دليل على الواو المحذوفة، وأصلها: "يَصُدُّونَ" وجاءت "لا" الناهية، لا يَصُدُّوك، وحذفت النون، وبقيت النون المشددة مع الواو، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين، فضُمت الدال، وهذا كله إعلال.

أشار المستغامي في هذه الآية أنّ في قوله تعالى: "وَلَا يَصُدُّنَّكَ" حذفاً لحرف واو الجماعة، وهو ما يُعرف عند الصرفيين إعلالاً بالحذف، حيث تم حذف الواو من الفعل "يَصُدُّونَكَ" بسبب التقاء الساكنين (الواو والنون المشددة)، أصله يَصُدُّونَنَّكَ، وبقيت الضمة على الدال كدليل على الواو المحذوفة، التي هي في الأصل فاعل، ليصبح الفعل "يَصُدُّنَّكَ" مجزوماً بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون، والنون في الفعل هي نون التوكيد، والواو في قوله: (يصدنك) تعود إلى الكافرين، وأما الكاف فهي مفعول به، يعني يا محمد -صلى الله عليه وسلم- لا يصدنك هؤلاء أو لا يصرفنك عن آيات الله، والغرض من الحذف في هذه الآية، أنّه موافق لما نطق به العرب، وهو إعلال بالحذف، فلا يستقيم ذكر الواو هنا، بل يجب حذفها، والواو المحذوفة حرف معنى -وهي واو الفاعل كما أشرت- وقد أشار إلى القول الذي ذكره المستغامي أرباب النحو والصرف، وكذا جمع من المفسرين، مثل السيوطي (السيوطي، د ت، صفحة 520).

2.3 حذف الكلمة:

من المعلوم أنّ الكلمة إمّا المسند إليه أو المسند أو الفضلة، وفي هذا المطلب سأقوم باستخراج مواضع الحذف التي أشار إليها الأستاذ فيما يتعلق بالكلمة.

1- جاء في تفسير قوله تعالى: "وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" التنصيص من المستغامي على وجود حذف في الآية، حيث يقول (المستغامي، 2017، صفحة ج 2/ دقيقة 54): "...قرة عين، أصلها مبتدأ لخبر محذوف، أي هذا قرة عين لي، حُذف المبتدأ للتعجيل بالمسرة، إذ من بين أسباب حذف المبتدأ التعجيل بذكر الخبر، وليس فيه وقت لذكر المبتدأ".

يذكر المستغامي في هذه الآية الحذف الواقع في قوله تعالى: "قرة عين لي" إذ في الكلام حذف للمسند إليه، وتقدير الكلام: هذا قرة عين لي، أو هو قرة عين لي، والغرض من حذف المبتدأ في الآية هو التفخيم أو التعجيل بالمسرة؛ وذلك بذكر الخبر مباشرة دون الحاجة إلى ذكر المبتدأ، وهو كثير في لغة العرب، كما ذكر ذلك أصحاب علم المعاني، وقد أشار إلى هذا الحذف، الزمخشري في كشافه (الزمخشري، 1987، صفحة 394/3) حيث يقول: "قرة عين: خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن يجعله مبتدأ، ولا تَقْتُلُوهُ خيراً" وقريب من هذا ما ذهب إليه الألوسي (الألوسي، 1995، صفحة 258/10) حيث يقول: "أي هو قرة عين كائنة لي ولك، على أن قرة خبر مبتدأ محذوف... وقالت

ذلك لما ألقى الله تعالى من محبته في قلبها، أو لما كشف لها فرأته من النور بين عينيه... ولتفخيم شأن القرة"، فقد أضاف الألوسي غرضا آخر للحذف، وهو التفخيم، بالإضافة إلى التعجيل بالمسرة التي ذكرها الأستاذ.

2- جاء في تفسير قوله تعالى: "وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَبِصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (سورة القصص: 11) ما نصه (المستغامي، 2017، صفحة ج3/ 3 دقيقة 20): "أي راقبته من مكان بعيد، عن جنب: أي عن مكان بعيد، وهذه صفة لموصوف محذوف، أي: فبصرت به عن مكان جنب بعيد وهم لا يشعرون".

يذكر الأستاذ في هذه الآية إلى وجود حذف فضلة، وهو الاسم المجزور: "مكان" وهي موصوف، وصفته جنب، أي بعيد، وعلى هذا فتقدير الكلام: "فبصرت به عن مكان جنب" أو إن شئت: "فبصرت به عن مكان بعيد"، وهو التفسير الذي فسره به الألوسي (الألوسي، 1995، صفحة 260/10) في أن: "جنب صفة لموصوف محذوف أي عن مكان جنب، أي بعيد"، والتقدير نفسه ذهب إليه أكثر المفسرين، ولم يذكر الأستاذ الغرض من الحذف، والظاهر أنه للإيجاز؛ لأنّ السياق دليل عليه.

3- أشار المستغامي في تفسير قوله تعالى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" (القصص: 23) أن في الآية حذفاً لكلمة -وهو فضلة- حيث يقول ما نصه (المستغامي، 2017، صفحة 4/ 4 دقيقة 35): "...يسقون أنعامهم؛ لأنه لا يرتبط بها الأمر... هنا أربعة مفاعيل أشار إليها، هي: تسقون، تذودان، نسقي، سقى لهما، كل المفاعيل محذوفة إذ لو تعلق بها الأمر لذكرت، فليس الشأن متعلقاً بالمسقي وإنما الشأن متعلق بالفعل".

ذكر المستغامي في هذه الآية حذفاً للمفعول به "أنعامهم" وعلل سبب الحذف أنه لا يتعلق به الأمر؛ ولأن الغرض لا يتعلق بمعرفة المسقي و لكن بما بعده، أو أنّ الغرض متعلق بالفعل وهو السقي لا بالمفعول؛ لأنّ المفاعيل مختلفة، فقد تكون إبلا وقد تكون مواشي، وقد تكون لأهلهم... إلخ، وهذا راجع لإيجاز الكلام، وأشار كذلك إلى حذف المفاعيل الأخرى للفعل: تذودان، ونسقي، وسقى لهما، وكلها لنفس الغرض، وهو عدم تعلق الأمر بها، والمعنى نفسه أشار إليه الجرجاني (الجرجاني، 1992، صفحة 109) حيث يقول: "...وإن أردت أن تزداد تبييناً لهذا الأصل، أعني وجوب أن تسقط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله ولا يدخلها شوب، فانظر إلى قوله تعالى: وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ، ففيها حذف مفعول في أربعة مواضع، إذ المعنى: "وجد عليه أمة من الناس يسقون" أغنامهم أو مواشيهم" وقريب من هذا المعنى ما ذهب إليه ابن عاشور، حيث يقول (ابن عاشور، 1984، صفحة 99/20): "وحذف مفعول يسقون لتعميم ما شأنه أن يسقى وهو الماشية والناس، ولأن الغرض لا يتعلق بمعرفة المسقي ولكن بما بعده من انزواء المرأتين عن السقي... فيكون من تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم، أو الحذف هنا للاختصار"، إذن غرض دلالة الحذف هنا ظاهرة، وهي للإيجاز.

4- جاء في تفسير قوله تعالى: "وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ" (القصص: 62) حيث ذكر المستغامي أنّ في الآية حذفاً للمفعول به -فضلة- (المستغامي، 2017، صفحة ج8/ 8 دقيقة 43) حيث يقول: "تزعمون ينصب مفعولين من أخوات ظنّ... إذن: أين شركائي الذين كنتم تزعموهم شركائي، المفعولان محذوفان دلّ عليهما ما سبق... أصلها: أين شركائي الذين تزعموهم شركائي، أو تزعمون أنهم شركائي، فالجملة الاسمية سدّت مسد المفعولين، أو نقول المحذوفان محذوفان دلّ عليهما ما في السياق، وهي استفهام توبيخي".

يشير الأستاذ في هذه الآية إلى وجود حذف في قوله تعالى: "أين شركائي الذين كنتم تزعمون" إذ بعد أن ذكر أنّ الفعل زعم من أخوات "ظنّ" وأنه ينصب مفعولين، ذكر الأستاذ بعد ذلك أنّ تقدير المفعولين إمّا: مفرد، وهما: الضمير: "هم" والاسم "شركائي" وإمّا: جملة، وهي:

أنهم شركائي، والجملة بذلك سدّت مسد المفعولين، دلّ الكلام السابق عليها، وهي قوله تعالى: أين شركائي الذين... " ولم يذكر الأستاذ الغرض من هذا الحذف، إلّا أنّ مفهوم كلامه هو الاختصار، وأمّا الغرض من الاستفهام فهو للتوبيخ، أي أنّ السائل لا ينتظر إجابة، وإمّا فيه تحكم وإهانة على عدم منفعتهم بما كانوا يزعمونه من أنّه شريكي، ولما قد عرفوا بطلان ما كانوا عليه وعرفوا صحة التوحيد والنبوة، وقد أشار إلى حذف المفعولين في الآية الزمخشري إلى أنّه قدّرهما مفردا (الزمخشري، 1987، صفحة 3/ 426) ووافق المستغامي ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور، حيث يقول (ابن عاشور، 1984، صفحة 20/ 156): "ومفعولا تزعمون محذوفان دل عليهما شركائي الذين كنتم تزعمون أي تزعمونهم شركائي، وهذا الحذف اختصار وهو جائز في مفعولي (ظن)" إلى أنّ ابن عاشور ذكر سبب الحذف هو الاختصار، وأمّا تقدير الجملة "أنهم شركائي" وأنها سدّت مسد المفعولين فهو قول سيوييه في هذا الباب، كما أشار الألوسي (الألوسي، 1995، صفحة 10/ 307) بل ذهب ابن هشام إلى أبعد من ذلك، وذكر أنّ الأولى أن يقدر هنا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي، أي جملة اسمية فقط؛ لأنّه لم يقع "الزعم" في التنزيل على المفعولين الصريحين بل على "أن وصلتها" كقوله تعالى: الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ" (الأنعام: 94) (ابن هشام، 1985، صفحة 1/ 774).

3.3 حذف الجملة:

سنعرض في هذا المطلب إلى مواطن حذف الجملة بكل أنواعها - سواء الاسمية أو الفعلية، التامة أو شبه الجملة - التي ذكرها الأستاذ.

1- جاء في تفسير قوله تعالى: "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (سورة القصص: 10) قول الأستاذ (المستغامي، 2017، صفحة ج3/ 9 دقيقة): "لذلك كلمة أصبح فؤاد أم موسى فارغا، فيها رأيان، رأي من العلماء والمفسرين يقول: طار عقلها عندما رمته... أصبح فؤاد أم موسى فارغا من همه، وأوكلت أمرها لله، وسلمت القضية لله..."

أشار الأستاذ في هذه الآية إلى وجود حذف لشبه الجملة "من همه" أو "من الهم"، أي أنّ كل العقل والبال متعلق بموسى؛ لذلك أوكلت أمرها لله وحده، وهذا بالربط والتثيت على قلبها، وعدم البوح بلسانها، كما في آخر الآية، وهذا الضمير يعود على أم موسى، وتفيد الآية أنّها كادت أن تبوح بسرّه لشدة ما أصابها من حزن وقلق، وإلى هذا المعنى أشار الألوسي (الألوسي، 1995، صفحة 10/ 259) وهو المختار عند أبي عبيدة في مجازة (أبوعبيدة، 1961، صفحة 2/ 98) حيث يقول: "مجازة: فارغا من الحزن لعلمها أنه لم يغرق" ولم يُصرح الأستاذ بدلالة الحذف في الآية، والظاهر أنّه للإيجاز، إذ القرينة الحالية دليل على المحذوف.

2- جاء في تفسير قوله تعالى: "فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (القصص: 13) حيث ذكر المستغامي وجود حذف في قوله تعالى: "لا يعلمون" (المستغامي، 2017، الصفحات ج3/ 34-35) حيث يقول: "...هم لا يعلمون كثيرا من الأشياء... لا يعلمون أنّ قدر الله آت، لا يعلمون أنّ علو فرعون سيجر عليه الويلات، لا يعلمون الكثير من حكم الحياة، أنّ الله إذا أراد شيئا فإنّ مشيئته مطلقة وسيروبي الولد في حضن فرعون، لا يعلمون أنّ الإفساد في الأرض سيؤدي بهم إلى الإهلاك، لا يعلمون أنّ صلاح واحد في عائلة قد يجعله الله سببا في إنقاذ أشياء؛ فجعل آسيا دليلا لنجاة موسى، لا يعلمون تدبير الله كيف يتم، لذلك عم لا يعلمون شيئا، فجاءت "لا يعلمون" والمفعول به محذوف، لا يعلمون الكثير من الأشياء".

يشير الأستاذ في هذه الآية إلى وجود مفعول به محذوف في قوله تعالى: "لا يعلمون" وقد ذكر الأستاذ عدة جمل كلها تحتلها الآية والسياق، منها: عدم معرفة قوم فرعون أنّ قدر الله آت، وأنّ عتو فرعون في الأرض لن يدوم، وأنّ الأيام دول... الخ، ولا يمكن أن نقدر المفعول به مفردا وهو "شيئا" "لا يعلمون شيئا"؛ لأنّه في هذه الحالة ستصبح "شيئا" نكرة في سياق النفي، فتفيد العموم، وهذا غير مراد في هذه الآية، والله أعلم، ويمكن أن يكون العموم ظاهرا، أي أنّه لا يعم كل شيء، وإنما يعم شؤون التدبير والملك، وقد أشار إلى ما ذهب إليه المستغامي

الألوسي (الألوسي، 1995، صفحة 260/10) وكذا أغلب المفسرين، منهم الرازي، إلا أنه بعد ذكره لأقوال رجّح أنّ المحذوف جملة اسمية وهي: "وعد الله حقّ"، حيث يقول (الرازي، 2000، صفحة 583/24): "أن يكون المعنى إنا إنما رددناه إليها لتعلم أنّ وعد الله حق، والمقصود الأصلي من ذلك الرد، هذا الغرض الديني، ولكن الأكثر لا يعلمون أن هذا هو الغرض الأصلي، وأنّ ما سواه من قرة العين وذهاب الحزن تبع" وقدّر الزمخشري المحذوف جملة اسمية (الزمخشري، 1987، صفحة 397/3) حيث يقول: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون"، ولم يذكر الأستاذ الغرض من الحذف في الآية، والذي يظهر أنّه للإيجاز.

3- ذكر المستغامي في تفسير قوله تعالى: "وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ" (القصص: 64) على أنّ في الآية حذفاً حيث يقول (المستغامي، 2017، الصفحات ج9/ دقيقة 4-6): "هنا الرؤية، توقف العلماء عندها، والعذاب في الآخرة، وقالوا: رؤية العين، وهو نظير قوله تعالى: "وَبُزْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى" ثم قال: "لو كانوا يهتدون" إلى طريقة إلى الخلاص من العذاب لفعلوا، فجواب "لو" في الآية محذوف، يجوز أن نفهمها بهذا الشكل: ورأوا العذاب لو كانوا يهتدون إلى طريقة لفعلوا، هذا المعنى الأول، والمعنى الثاني: رأى علمية، إدراكية، ورأوا العذاب لاحقاً بهم، إذن: المفعول الثاني ل رأى محذوف، والمعنى ذاته: لو أنّهم كانوا يهتدون إلى طريقة من الخلاص لاجتهدوا وفعلوا".

يشير الأستاذ في هذه الآية إلى وجود تفسيرين في الآية، الأول: أنّ "رأى" في الآية بصرية، أي التي تتعدى إلى مفعول واحد، وهنا ليس هناك حذف، في حين نجد حذفاً لجواب "لو" وهي جملة فعلية قدرها الأستاذ: "لفعلوا" متكونة من فعل وفاعل، وعلى هذا تكون جملة: "لو أنّهم كانوا يهتدون" مستأنفة ابتدائية مستقلة عن جملة: "ورأوا العذاب"، ولم يُشر الأستاذ إلى الغرض من الحذف هنا!، والظاهر أنّه للتوبيخ كما ذكر ذلك أكثر المفسرين، والتفسير الثاني للآية: هو أن تكون "رأى" علمية أي التي تتعدى إلى مفعولين، وفي هذه الحال قدر الأستاذ المفعول الثاني "لاحقاً"، والمعنى: وعلموا العذاب لاحقاً بهم، ولم يشر المستغامي في الغرض من الحذف هنا، والذي يظهر أنّه للاختصار، في حين بقى جواب لو محذوفاً، وهو جملة فعلية، وهذه الأقوال جمعها المستغامي من الطاهر بن عاشور (ابن عاشور، 1984، الصفحات 160/20-161) وقد ذكر الرازي أقوالاً في جواب "لو" قد اختار المستغامي واحداً منها وذكره في هذا الموضع، يقول الرازي (الرازي، 2000، صفحة 25 /9): "فأما قوله تعالى: لو أنّهم كانوا يهتدون فكثير من المفسرين زعموا أن جواب "لو" محذوف وذكروا فيه وجوهاً أحدها: قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو أنّهم كانوا يهتدون في الدنيا ما أبصروه في الآخرة، وثانيها: لو أنّهم كانوا مهتدين في الدنيا لعلموا أنّ العذاب حق، وثالثها: ودوا حين رأوا العذاب لو كانوا في الدنيا يهتدون، ورابعها: لو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب، وخامسها: قد آن لهم أن يهتدوا لو أنّهم كانوا يهتدون إذا رأوا العذاب، ويؤكد ذلك قوله تعالى: "لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم" (الشعراء: 201) وعندني أن الجواب غير محذوف".

4- أشار المستغامي في تفسير قوله تعالى: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (القصص: 68) إلى وجود حذف دقيق حيث يقول (المستغامي، 2017، الصفحات ج9/ دقيقة 16-17): "...وربك يخلق ما يشاء ويختار من يشاء للرسالة، فيه محذوف... أي شيء يفهم من البداية لا يُذكر، القرآن وجيز، قال تعالى: "مثل الجنة التي وعد المتقون أكلها دائم وظلها" أي وظلها دائم، أخذنا دائم من الأول "أكلها"، حذف لدلالة الأول عليه، القرآن كلها هكذا، وإن ذكر فهو من الإطناب غير المفيد، وهنا في الآية التي معنا "يخلق ما يشاء ويختار" نفس الكلام، هنا قال: "وربك يخلق ما يشاء ويختار" أي ويختار ما يشاء"

يذكر المستغامي في هذه الآية أنّها مشتملة على حذف في الجملة الاسمية: "من يشاء للرسالة" للفعل يختار، ومعناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة، أي: يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح، وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم؛ لأنّهم لا يملكون اختياراً على الله، ويُفهم هذا الحذف من

خلال العطف على "يخلق ما يشاء"، فتكون الجملة من باب العطف على ما سبق، والذي دلّ عليه هو الفعل الأول "يخلق" ثم ذكر قاعدة عند المفسرين من أنّ أي شيء يُفهم في البداية فإنّه لا يُذكر بعد ذلك، نظير هذا كثير، حيث ذكر قوله تعالى: "أكلها دائم وظلها" ومنه كذلك قوله تعالى: "فاعف عنهم واصفح" ومنه كذلك "أسمع بهم وأبصر" إلخ... ويشير كلام المستغامي من أنّ غرض الحذف في الآية هو للاختصار، والمستغامي كرر كلام ابن عاشور بمعناه في هذه الآية، حيث يقول ابن عاشور (ابن عاشور، 1984، صفحة 164/20): " والمعنى: أنّ الله يخلق ما يشاء من خلقه من البشر وغيرهم ويختار من بين مخلوقاته لما يشاء مما يصلح له جنس ما منه الاختيار، ومن ذلك اختياره للرسالة من يشاء إرساله" والمعنى نفسه أشار إليه الألوسي (الألوسي، 1995، صفحة 310/10) حيث يقول: "والجملة على هذا الوجه مؤكدة لما قبلها أو مفسرة له إذ معنى ذلك يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء أن يختار ما يختاره العباد عليه؛ ولذا خلت عن العاطف".

خاتمة:

في ختام هذا البحث يُمكن أن نجمل نتائجه في النقاط الآتية:

- دلالة مصطلح الحذف من الناحية اللغوية تتأزر مع دلالاته الاصطلاحية؛ مما يؤكد أصالته في الكلام العربي.
- يتفق النحويون والبلاغيون أنّ الأصل في الكلام هو الذكر، ولا يُحذف شيء من الكلام إلّا بدليل.
- الحذف ضرب من ضروب الإيجاز؛ ذلك أنّ القرآن يعتمد في فهم بعض آياته على تقدير المحذوفات.
- يقع الحذف في القرآن على صور متعددة: ويقع في الحروف والكلمات والجمل، كما أنّ دلالاته تختلف، وأغلبه يدور في فلك الإيجاز الذي لا ينفك عنه ألبتة.
- لم تحو سورة القصص على كثير من مظاهر الحذف؛ وهذا راجع بالأساس إلى ذكر قصة موسى -عليه السلام- مفصلة، مقارنة بأغلب السور الأخرى التي ذكرت فيها القصة مختصرة.
- في كثير من المواضع لم نفهم الأستاذ لم لم يذكر دلالة الحذف.
- بلغ مجموع مواطن الحذف في هذه السورة إحدى عشر موطنًا: موضع واحد فقط في الحرف، وهو حرف معنى -وهذا لأنّ الحذف في الحرف قليل كما ذكر ابن جني- وأربعة في الكلمة، جاءت على النحو الآتي: مسند إليه فقط، وثلاث فضلات، وأربعة في الجمل، جاءت على النحو الآتي: شبه جملة، وجملتان اسميتان، وجملة فعلية.
- إذا نظرنا إلى كتب التفسير الأخرى التي اهتمت بالجوانب البلاغية، نجد المستغامي لم يتطرق إلى جميع مواضع الحذف الموجودة في السورة؛ وهذا راجع ربما إلى ضيق الوقت.
- شرح الأستاذ العديد من مواضع الحذف في السورة، بينما اكتفى بذكرها في مواطن أخرى تارة بالاختصار، وتارة بالإشارة إليها فقط دون شرح.
- هناك بعض العبارات في كلام المستغامي يشوبها بعض الغموض، وهذا راجع في الأساس إلى أنّ المادة العلمية مأخوذة بالمشافهة، ولكن رغم هذا فقد قمت بشرحها وإزالة اللبس عنها.
- من خلال الاستماع إلى كلام المستغامي، وبإجراء مقارنة مع كلام المستغامي وكتب التفسير الأخرى، أمكن القول: إنّ أغلب مصادره أربعة، وهي: الكشف للزمخشري، مفاتيح الغيب للرازي، روح المعاني للألوسي، التحرير والتنوير لابن عاشور.

التوصيات:

- تحوي باقي سور القرآن الكريم على ما جاء في برنامج: "في رحاب سورة" العديد من المظاهر البلاغية، هي جديرة بالاهتمام والبحث.
- يُمكن من خلال المتابعة لهذا البرنامج، أن يستخلص الباحث أسلوب المستغامي في دراسة الظواهر البلاغية.

المصادر والمراجع:

المراجع

- الألوسي. (1995). روح المعاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- al-Alūsī. (1995). Rūḥ al-ma‘ānī. Bayrūt : Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah.
- الأنصاري ابن هشام. (1985). مغني اللبيب. دمشق: دار الفكر.
- al-Anṣārī Ibn Hishām. (1985). Mughnī al-labīb. Dimashq : Dār al-Fikr.
- الجرجاني. (1992). دلائل الإعجاز. القاهرة: مطبعة المدني.
- al-Jurjānī. (1992). Dalā’il al-i‘jāz. al-Qāhirah : Maṭba‘at al-madani.
- الرازي. (2000). مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- al-Rāzī. (2000). Mafātīḥ al-ghayb. Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.
- الزركشي. (1957م). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار المعرفة.
- al-zrkshy. (1957m). al-burhān fī ‘ulūm al-Qur’ān. Bayrūt : Dār al-Ma‘rifah.
- الزمخشري. (1987). الكشاف. بيروت: دار الكتاب العربي.
- al-zmkhshry. (1987). al-Kashshāf. Bayrūt : Dār al-Kitāb al-‘Arabī.
- السيوطي. (د ت). تفسير الجلالين. القاهرة: دار الحديث.
- al-sywṭy. (D t). tafsīr al-Jalālayn. al-Qāhirah : Dār al-ḥadīth.
- الطاهر ابن عاشور. (1984). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
- al-ṭāhr Ibn ‘Āshūr. (1984). al-thḥrīr wālt-nwyr. Tūnis : al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr.
- الفراهيدي. (د ت). العين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- al-frāhydy. (D t). al-‘Ayn. Bayrūt : Dār wa-Maktabat al-Hilāl.
- اليعقوبي. (2011). الحذف وترك الجواب في ديوان ملحمة القدس. غزة: الجامعة العربية.
- āly‘qwby. (2011). al-Ḥadhf wtrk aljzāb fī Dīwān Malḥamat al-Quds. Ghazzah : al-Jāmi‘ah al-‘Arabīyah.
- باطاهر بن عيسى. (2008). البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات. بيروت: دار الكتب الجديدة.
- bātāhr ibn ‘Īsā. (2008). al-balāghah al-‘Arabīyah, muqaddimāt wa-taṭbīqāt. Bayrūt : Dār al-Kutub al-Jadīdah.
- سيبويه. (1988). الكتاب. القاهرة: الخانجي.
- sybwyh. (1988). al-Kitāb. al-Qāhirah : al-Khānjī.
- طاهر سليمان حمودة. (2000). ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي. الرياض: الدار الجامعة.
- ṭāhr Sulaymān Ḥammūdah. (2000). Zāhirat al-Ḥadhf fī al-dars al-lughawī. al-Riyād : al-Dār al-Jāmi‘ah.
- عبد الرحمن ابن خلدون. (1984). تاريخ ابن خلدون. بيروت: دار القلم.
- ‘bd al-Raḥmān Ibn Khaldūn. (1984). Tārīkh Ibn Khaldūn. Bayrūt : Dār al-Qalam.
- عثمان ابن جني. (د ت). الخصائص. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ‘thmān Ibn Jinnī. (D t). al-Khaṣā’iṣ. al-Qāhirah : al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.



- فاضل السامرائي. (2000). الجملة العربية تأليفها وأقسامها. بيروت : دار ابن حزم.
- fāḍl al-Sāmarrā'ī. (2000). al-jumlaḥ al-‘Arabīyah ta’līfihā wa-aqsāmuhā. Bayrūt : Dār Ibn Ḥazm.
- محمد صافي المستغاني. (19 9, 2017). في رحاب سورة القصص. (تفسير سورة القصص، المحاور).
- mḥmd Ṣāfī al-mstghānmy. (19 9, 2017). fī Riḥāb Sūrat al-qīṣaṣ. (tafsīr Sūrat al-qīṣaṣ, al-muḥāwir).
- مصطفى عبد السلام. (د ت). الحذف البلاغي في القرآن. القاهرة: مكتبة القرآن.
- mṣṭfā ‘Abd al-Salām. (D t). al-Ḥadhḥ al-balāghī fī al-Qur’ān. al-Qāhirah : Maktabat al-Qur’ān.
- معمر بن المثنى أبو عبدة. (1961). مجاز القرآن. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- m‘mr ibn al-Muthannā abw‘bydh. (1961). mujāz al-Qur’ān. al-Qāhirah : Maktabat al-Khānjī.
- نعمان بوقرة. (2010). المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. إربد: عالم الكتب الحديثة.
- n‘mān Būqirrah. (2010). al-muṣṭalaḥāt al-asāsīyah fī Lisānīyāt al-naṣṣ wa-taḥlīl al-khiṭāb. Irbid : ‘Ālam al-Kutub al-ḥadīthah.